DOI:10.52113/uj05/023-16/236-246 ISSN : 2072-6317(P) - 2572-5440(O)

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية

مجلة اوروك للعلوم الانسانية

موقع المجلة: www.muthuruk.mu.edu.iq

الحضارات الإنسانية عبر التاريخ، قراءة في أسباب الصراع و أفاق تحقيق التعايش والسلم

سعيد أرديف *

جامعة محمد الاول / وجدة - المغرب

معلومات المقالة

تاريخ المقالة :

تاريخ الاستلام: 2022/12/18

تاريخ التعديل : ------

قبـول النشـر: 2023/2/23

متوفر على النت: 2023/2/27

الكلمات المفتاحية :

الصراع ، العنف ، الحضارة ، الإيديولوجيا .

الملخص

لا شك أن المجتمعات البشرية كما الأفراد تماما لا تخلو بحكم الغريزة من النزوع إلى الصراع والرغبة في الهيمنة على الغير بغرض تثبيت الذات وضمان البقاء. وإذا كانت الحضارات القديمة قد عرفت صراع الإمبراطوريات الزراعية الكبرى في العصور البدائية، وإذا تلتها فترة نزول الرسالات السماوية التي ساقت العالم إلى حوارات وصراعات الأديان، فإن السعي وراء مراكمة الأموال في ظل الصراعات التجارية سيعود من جديد مما سيمكن القوى الكبرى في العالم من اكتشافات جغرافية وقارية مهمة. هذه الرهانات بدورها كانت السبب في إطلالة عصر جديد من الثورات والحروب والأطماع الاستعمارية التي لازمت الدول الإمبريالية، ما إن تخلص منها العالم حتى آل إلى الحرب الباردة والصراعات الإيديولوجية، هذه الصراعات التي أفرزت بدورها أخطر أنواع التنافس والاحتكاك، وأضحى معها الرهان الثقافي والعولمة حاضرين بقوة، ومع تطور العلوم والتقنيات التي عملت على تطوير آليات العنف وتغذيته فإن الصراع لا محالة سيشتد ويحتدم من جديد.

إن المتتبع لهذا المشهد الحضاري ليقر بتشعب المداخل المؤدية إلى سبر أغواره والبحث فيه، وقد لا يسعه الاكتفاء بتخصص علمي واحد للإحاطة بجميع مضامينه ونواحيه، ولكننا نرتئي مقاربته من خلال الإشكالات العريضة التالية:

- ما الخلفيات الفكرية المؤطرة وما العناصر المحركة لهذا الصراع على مر التاريخ؟
- وإذا كان لابد من صراع، فهل هناك من سبل وآفاق لتحقيق التعايش وإعادة الحوار والتفاهم لتحقيق السلم الحضاري من جديد؟

©جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2023

المقدمـة:

إن الحديث عن التعايش السلمي والصراع عبر تاريخ البشرية يقتضي منا تحليلا فكريا شموليا يستنجد بكل مناهج الأبحاث العلمية على اختلافها وإدراج الموضوع ضمن مختلف فروع العلوم الحقة والإنسانية وضمن مباحث متعددة للمعرفة والفكر الانساني. لم لا والأمر يهم بالأساس أسمى مخلوق على الأرض وهو الإنسان الذي يتطلب استمرار نوعه في هذا الكون تحقيق التعايش بين الأفراد على اختلاف فراداتهم وتمايزاتهم، وبين الجماعات باختلاف خصوصياتها العرقية والثقافية والدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها، إذ مهما تفاقمت هذه الاختلافات فإن ضرورة العيش المشترك تقتضي بالضرورة الارتقاء في مدارج المدنية والبحث عن سبل التعايش الإنساني السلمي ونبذ العنف والصراع.

1- إشكالات البحث الفلسفية والثقافية والتاريخية والدينية:

من الناحية الفلسفية يمكن القول:

*الناشر الرئيسي : E-mail : saeid_ardif 254@gmail.com

ما الأصل في العلاقات الاجتماعية البشرية؟ هل هو الصراع والعنف أم التعايش المدني السلمي والحضاري؟

هذا يجرنا حقا إلى مناقشة موضوع أنطولوجيا الإنسان في بعده الفردي المستقل، وكذا في بعده المجتمعي العلائقي الغيري، لنقول بصيغة أخرى :

ما طبيعة النفس البشرية، هل هي خيرة ميالة إلى السلم والتعايش، أم هي شريرة تميل إلى العنف والصراع والعدوان؟

بناء على ذلك، كيف يمكن النظر إلى علاقة الذات بالآخر؟ هل هي علاقة سلم وتعايش، أم علاقة عنف وصراع؟ وما الأسباب الكبرى التي كانت وراء الصراع بين مختلف الحضارات والثقافات والشعوب الإنسانية عبر مختلف العصور المتعاقبة في تاريخ البشرية؟

ونختم بالتساؤل التالي: هل يمكن اعتبار الأديان من عوامل التخفيف من جذوة الصراعات وانتشار العنف، أم أنها تؤدي في اختلافاتها إلى تأجيج الحروب والعنف؟

2- مفاهيم لابد من إيضاحها:

✓ **مفهوم الصراع**

يشتق لفظ الصراع في اللغة[1] من فعل صرع يصرع، ونقول صرع فلانا إذا طرحه أرضا، كما نقول صرعته المنية إذا وافته وسوته على الأرض، كما يقال صرع الريح الزرع إذا غلبت عليه وأسقطته ارضا، وصرع الباب إذا جعله ذا مصراعين، كما يفيد فعل اصطرع وتصارع معنى الاشتراك والتبادل في الصراع، والمصارعة رياضة بدنية لها قوانين محددة وخلالها كل خصم يسعى إلى الإطاحة بالآخر.

أما اصطلاحا فقد شغل تعريف مفهوم الصراع والعدوان الحكماء والفلاسفة منذ أيام روما القديمة، فأصله اللاتيني agressio أي الاعتداء، وقد عرف باعتداء دولة أقوى على دولة أضعف لتحقيق مكاسب ومصالح، أو بالأحرى اعتداء جماعة بدل دولة، على اعتبار أن وجود العدوان والعنف سابق على وجود الدولة.

أما الصراع le conflit في الاصطلاح المعاصر فهو أحد أبرز المفاهيم المتداولة التي طفت على سطح النقاش المحتدم بعد انتهاء الحرب الباردة، وتفكك المعسكر الشرقي الخصم التاريخي لليبرالية الديمقراطية، ومنذ حمى التبشير بنهاية التاريخ وفقا لأطروحة المفكر الأمريكي فرنسيس فوكوياما[2] إثر ابتداع أطروحة الصدام الاستراتيجي بين الحضارات على يد المفكر السياسي الأمريكي صامويل هنتنجتون بجامعه هارفارد الذي يرى أن صدام الحضارات نتيجة حتمية.

✓ **مفهوم الايديولوجيا:**

إذا رجعنا إلى الأصل اللغوي[3] في لفظة الإيديولوجيا نجد كلمة "أدلَج"، ونقول أدلج القوم إذا ساروا من أول الليل، والدُّلْجة هي السير أول الليل أو الليل كله.

لكن المعنى اللغوي يبدو مختلفا عن المعنى الاصطلاحي وغير مطابق له، وذلك راجع إلى كون اللفظة مقترضة ودخيلة ذات أصل يوناني، تنقسم إلى شقين: Idio تعني الأفكار وLogy تعني علما أو دراسة. ويؤكد الباحث المغربي عبد الله العروي أنه يجب الفصل في مصطلح الإيديولوجيا بين عصر ما قبل الأدلوجة وعصر الأدلوجة ففي عصر ما قبلها يدلل بالفلسفة اليونانية لاهتمامها بالبحث عن مبررات تفسر تناقض الانسان المحتوم بين الفكر والواقع، حيث أن الواقع حسب سقراط ثابت وقار والحقيقة واحدة والكون متجانس دائما والانسان قسم من هذا الكون المتجانس، وجدانه مرآة تعكس ذلك التجانس الذي هو عنوان الكمال والجمال[4].

كما تدل الإيديولوجيا في الاصلاح أيضا على الأفكار والآراء والمعتقدات وأساليب التفكير المميزة لمجموعة بشرية معينة وقيمها الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتي عن طريقها ينظم الإنسان سلوكه وتتحدد نظرته إلى الحياة وإلى ذاته

والعالم. كما تعني: "نظام متكامل من الأفكار والمعتقدات التي نتمكن خلالها من فهم العالم الخارجي"[5]

✓ **مفهوم الحضارة**

الحضارة في اللغة[6] مأخوذة من الحضر أي الاستقرار والسكن وتحيل إلى نمط الحياة المدنية، وهي مقابلة للفظة البداوة المرتبطة بالتنقل وبنمط حياة الرحل، وبذلك تكون الحضارة مقترنة بأنشطة الزراعة والتجارة والحرف التي تتطلب الاستقرار، وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الانساني وتدل على كل مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر أو المدينة.

أما الحضارة في الاصطلاح فيعرفها العالم الألماني غوستاف كالم (العصر الحديث) تعريفا علميا على أنها: "العادات والمعلومات والمهارات والحياة العامة والخاصة في السلم والحرب والدين والعلم والفن، وتتمثل في نقل تجارب الماضي إلى الجيل الجديد."[7]

وباختصار واضح يمكن القول أن للحضارة جوهر ومظهر، أما المظهر فهو الإنجازات المادية من قوة عسكرية واقتصادية ونظم سياسية وأشكال العمران وغيره، في حين أن الجوهر هو المعتقدات والقيم وأنماط السلوك الشائعة.

✓ **مفهوم العنصرية**

العنصرية لغة[8] تشتق من لفظة العنصر والتي تفيد معنى الأصل والجنس، يقال فلان كريم العنصر أي كريم الجنس والأصل والحسب، والعنصر في علم الكيمياء يعني المادة الأولية التي لا يمكن تحليلها كيميائيا إلى ما هو أبسط منها.

أما العنصرية في الاصطلاح فهي كلمة محدثة تعني تعصب المرء أو الجماعة لجنس معين وتفضيله على أساس الجنس أو العرق أو القبيلة أو العشيرة أو الدين أو الطائفة أو المعتقد أو حتى لون بشرة، وإباحة قتل أو اضطهاد أو حتى ازدراء الفئات الأخرى بدون وجه حق أو سبب واضح، سوى أنها تختلف في جنسها أو عرقها أو طائفتها أو لون بشرتها، وهي كلها اعتبارات ذاتية لا موضوعية، وهنا نذكر أمثلة: اضطهاد زنوج وهنود أمريكا، عنصرية الحروب الصليبية، محاكم التفتيش ضد الموريسكيين بالأندلس، الحركة الصهيونية ثم النازية، الحروب العرقية والطائفية ومصطلح الإرهاب المعاصر الذي كان الدافع وراء حروب كثيرة...

والعنصرية منافيه للعقل والحضارة، لكن وجودها واستمرارها راجع بالأساس إلى وجود مستفيدين منها من أصحاب السلطة والنفوذ على مر العصور التاريخية وعلى اختلاف أمكنة وجودها في كل بقاع العالم.

3- الصراع والعنف من منظور الفلسفة وعلم النفس:

العنف في اللغة هو إلحاق الأذى والألم بالآخرين، قد يصدر عن فرد أو عن جماعة، والعنف أشكال وأنواع قد يكون ماديا أو معنويا أو نفسيا أو رمزيا، كما يتخذ أنماطا مختلفة تبعا لاختلاف ثقافات المجتمعات وتطورها التاريخي، وفي علاقته بتطور العلم والتقنية التي تزيد من حدته وفتكه، وكذا في علاقته بتطور وسائل الإعلام والاتصال التي تزيد من رقعة انتشاره واستعماله كما تشاء[9].

هذا التعريف يضعنا أمام مفارقات أساسية أهمها:

ما طبيعة النفس البشرية؟ هل هي ذات طبيعية خيرة ميالة الى التعايش والسلم أم أنها شريرة ميالة إلى العنف والعدوان؟ بصيغة أخرى يمكن القول: هل العنف فطري في الإنسان أم مكتسب؟

وهذا يجرنا إلى إشكال آخر مرتبط به مفاده: ما طبيعة العلاقة التي تحكم علاقة الانا بالغير؟ هل هي علاقة عنف ونفور وصراع، أم علاقة سلم وود وتضامن ووئام؟

وبهذا الصدد يمكن أن نجد عده تصورات مختلفة:

1. العنف والعدوان متأصل في الطبيعة الإنسانية وبناء عليه تتشكل العلاقة مع الغير:

DOI:10.52113/uj05/023-16/236-246

يحضرنا موقف طوماس هوبس أنموذجا للفكر الفلسفي الإنجليزي الغربي من ضمن فعاليات العصر الحديث الفكرية، حيث طرح فرضية حالة الطبيعة التي عاشها الإنسان الأول على الأرض والتي كان أساسها هو العنف (قبل أن ينتقل إلى الحياة المدنية). كما وصف هذه حياة الطبيعة هاته بأنها تتيح الحرية للإنسان في أن يستعمل قدرته الخاصة كما يشاء استجابة لغريزته في البقاء والحفاظ على طبيعته البشرية ولو كانت على حساب أجساد الآخرين وعلى حقوقهم، أي أنها حالة الجور والظلم والصراع والحرب (حرب الكل ضد الكل)[10]، ولأنها قامت على أساس القوة الفيزيائية المفرطة وهددت حياة واستمرار النوع الإنساني بعدما سئم من حياة العنف المدمر، لذلك اهتدى بعقله إلى فكرة غاية في الأهمية، إنها فكرة السلم التي لا يمكن تحقيقها إلا عن طريق العقد الاجتماعي، أي بتفويض طرف أو جهة خاصة كل ما يتعلق بتدبير أمور الحياة والتخلي عن ممارسة العنف لصالحها. وهكذا كانت بدايات قيام ما يسمى بالدولة والمجتمع المدني المنظم الذي نعيشه اليوم. وبهذا يكون الإنسان ميالا إلى العنف بحكم طبيعته، وتكون للمدنية الدور الكبير في تقنينه وتنظيمه والحد منه.

من جهة أخرى ينتصب المحلل النفساني النمساوي سيجموند فرويد منافحا عن غزيرة العنف في الإنسان، إذ يؤكد أن العنف فطري ومتأصل في الطبيعة البشرية، وصراع المصالح كان يتم دوما عن طريق اللجوء إلى العنف، وذلك حين يخبرنا بأسطورة أوديب التي تحكي واقعة استحواذ الأب الذكر القوي على العشيرة واستباحة نسائها، مقصيا باقي الذكور من أبنائه الذين لم يجدوا بدا من اتحادهم لقتله وأكله، وبعد ذلك ندموا على فعلتهم الشنيعة وتعهدوا أن يحرموا على أنفسهم التشبه بأبيهم ويحرموا القتل بصفة عامة[11]. هكذا تؤرخ هذه الأسطورة لبداية المؤسسات وحظر قواعد التحريم وقوانين الزجر والعقاب، وهكذا لعب العنف من خلالها دورا أساسيا في التاريخ، حيث أفضى الى ظهور الحق كقيمة إنسانية عليا.

وفي موضع آخر يستند سيجموند فرويد في طرحه أيضا إلى نظرية اللاشعور، حيث أن التركيبة النفسية للإنسان وآليات اللاشعور وتفاعل عناصر الهو والأنا الأعلى، كل ذلك يجعل "أنا" الإنسان الواقعي محط صراع داخلي بين نزوعاته نحو العنف من جهة والمبادئ الأخلاقية المكتسبة التي تختزنها الأنا الأعلى من جهة أخرى، مما يجعل الأنا في موقف صعب أمام هذه التجاذبات النفسية الداخلية وتعيش حالة عنف داخلي مستمر.

أما بخصوص العلاقة مع الغير المختلف عن الذات، فيمكن أن نسائل النصوص الفلسفية الكبرى التي أسست مواقفها من الغير على علاقة الصراع والتهديد.

نجد مارتن هايدغر يؤكد على أن وجود الغير يهدد كينونة الأنا الخاصة ويفقدها فرادتها وتميزها[12]. ثم نجد جون بول سارتر الذي يعتبر أن الآخر هو الأنا التي ليست أنا... والتي لست أنا هي"[13] وأداة النفي هنا تدل على العدم بصفته عنصرا من عناصر العزل بين الأنا والغير، وهذا يعني أن كل أخلاق الغيرية تبدو مستحيلة ضمن هذا المنظور.

كما نجد المفكر الفرنسي الروسي ألكسندر كوجيف الذي هو من أكبر شراح الفكر الهيجيلي ومجدديه في القرن العشرين، هو أيضا يستبعد أن تقوم العلاقة مع الغير على أساس الصداقة أو الشفقة، بل على أساس الهيمنة، فالإنسان هو إما سيد أو عبد، تحكمه العلاقة التراتبية مع الغير من أجل نيل الاعتراف وفرض الهيمنة[14].

ثم المفكر كارل ماركس الذي يعتبر العنف محركا للتاريخ، إذ إن قوى المجتمع كانت عبر التاريخ وماتزال تتصارع من أجل التحكم والسيطرة على وسائل الإنتاج إما بشكل علني أو خفي، ففي العصر القديم تميز المجتمع البدائي في روما بوجود طبقات متمايزة ومتصارعة هما: السادة والفرسان من جهة والعبيد والأقنان من جهة أخرى، أما في العصر الوسيط فقد تميز بوجود طبقات السادة والنبلاء وسادة الحرف والحرفيين العاديون، ثم في العصر الحديث نجد الصراع بين البرجوازية والبروليتاريا[15] .

DOI:10.52113/uj05/023-16/236-246

2. طبيعة الإنسان خيرة تدعو إلى السلم واللاعنف، وعلى ذلك تتأسس العلاقة مع الغير :

مقابل التصور السالف الذكر تحضرنا مواقف متعددة، يمكن إجمالها في تصور مناقض تماما يعتبر الإنسان ذا طبيعة خيرة.

نذكر من هذه المواقف على سبيل المثال لا الحصر أطروحة الفيلسوف الروماني ماركوس شيشرون، التي تنص على أن الحق لا يمكن طلبه في المؤسسات والقوانين، ولكن ينبغي البحث عنه في الطبيعة الخيرة للإنسان التي تتمثل في الميل إلى حب الناس وصداقتهم، و"طالما لم يقم الحق على الطبيعة فإن جميع الفضائل ستتلاشى"[16].

وفي نفس منحاه سار الفيلسوف وعالم الاجتماع السويسري جون جاك روسو الذي ينطلق من فكرة الطبيعة الخيرة للإنسان، وعليها يبني فكرة التعاقد الاجتماعي، فيعتبرها معاهدة بين الشعب والساسة لاستدامة حياة الخير التي جُبل عليها البشر، والاستمرار في الدفاع عن مبادئ العدل والمساواة والحرية[17] .

وعلى أساس الطبيعة الخيرة للإنسان تُبنى علاقة السلم والسلام مع الغير، ويطالعنا في هذا الباب المفكر الألماني الفرنسي إريك فايل الذي يرى أن العنف ليس من طبيعة الإنسان، وهو فعل غير مشروع ولا يمكن أن يكون كذلك. كما يُرجع شقاء العالم وانتشار التقتيل والعنف المدمر لغياب الاستجابة لنداء العقل وتحصيل المعنى، وكذا غياب التواصل والتفاهم بين الثقافات والحضارات المختلفة. ولتفادي العنف يرى الحل يكمن في الانتقال من اللامعنى إلى المعنى، أي إلى خطاب العقل المتماسك والمنطقي[18].

وعلاوة على ما سبق تفيدنا الساحة الفكرية الآسيوية بإبداعات المفكر والزعيم الهندي المهاتما غاندي الذي يرفض العنف رفضا باتا وقاطعا، ويرى أنه لمجابهته يجب اعتماد أسلوب اللاعنف، وهو نفس ما خبره وجسده في مواجهة المستعمر الإنجليزي حيث دعا الى اعتماد العصيان المدني واللاعنف، ثم إنه لا يعني به الاستسلام قط بقدر ما يقصد به مقاومة روحية قوية تجعل الخصم غير قادر على الاستمرار في العنف، معترفا بهزيمته أمام صوت الحكمة والروح. إنها فلسفة أخلاقية واستراتيجية محكمة، توصل إليها الحكيم الهندي بعدما سبر العنف ووجد أنه يزيد من الحقد والكراهية وأنه لا يقابل إلا بالعنف المضاد. ويبقى اللاعنف ممجدا لأنه يترك فرصة للخصم للتراجع عن غيه وظلمه، ومجمل الكلام ما لخصه غاندي في المقولة التالية:"اللاعنف هو القانون الذي يحكم النوع الإنساني، بينما العنف هو القانون الذي يحكم النوع الحيواني"[19].

وراجح القول أمام هذه المفارقة والتضارب بين التصورات التي تزكي العنف وأخرى تمجه وترفضه، أنه مهما يكن من المبررات الفلسفية والنفسية والتاريخية والدينية للحكم على مشروعية العنف أو لا مشروعيته، فإن العنف يبقى ظاهرة إنسانية غير مرحب بها وغير مرغوب فيها لبناء صرح الحضارة الإنسانية الكونية التي تتجاوز حدود الأعراف والأديان والأجناس والألوان و كل مظاهر اختلاف النوع الإنساني. ليضمن الجميع حقه في الوجود والبقاء والعيش في أمن وسلام.

4- الصراع والعنف من منظور ديني:

إذا كانت ضوابط العقل تحكم وقائع العالم المادي الملموس وتؤسس قواعد وقوانين علمية ثابتة نحوه، فإن ما يتعلق بالعالم المجرد والميتافيزيقي هو ما يظل محور الاختلاف في التقدير، وهو ما يفتح الباب على مصراعيه أمام الاعتقاد أو الجحود بكثير من القضايا الغيبية.

ففي حال الاعتقاد في الدين، وهنا لا بد أن نتحدث عن الأديان المستوحاة من السماء ، متفادين تلك التي ابتدعها الإنسان من وحي خياله. لكن الصعوبة والاختلاف تكمن في تمثلها وتنزيلها عبر الممارسات الحياتية، وهنا نجد كثرة الفهوم والتأويلات التي يمكن أن تكون سبيلا لاختلاف المذاهب والطرق

والتيارات الفكرية والطوائف بين المتطرفة والتي تقع موقع الوسط والعدمية وغيرها، ليبقى الإشكال المطروح هو:

هل الأديان السماوية آلية من آليات إحلال السلام بين الناس، أم أن اختلافها يؤذي إلى تأجيج جذوة العنف والصراع البشري؟.

1. بعض النصوص الدينية في موضوع العنف والصراع:

بعيدا عن المعتقدات والايديولوجيات البشرية الوضعية يجدر بنا أن نقف عند مختلف النصوص الدينية المتعلقة بالديانات السماوية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام) والتي تهم موضوع العنف أو السلام، باعتبارها الأديان التي حظيت بالقداسة، والتي مصدرها هو الله سبحانه وتعالى خالق الأكوان، هذا بغض النظر عما لحقها من تحريف طالها من يد البشر، وكيفما كانت وفي كل الأحوال فهي تعبر عن معتقدات شعوبها الراسخة التي عليها أسست ثقافتها، والثقافة عموما هي التي تحكم العلاقة بالأغيار المختلفين في الدين وهي التي تحدد موقفها الصريح من الآخر.

ففي العهد القديم نجد أسفار التوراة تعكس روح الصراع وتعتبره معتقدا دينيا راسخا، وهي الأفكار التي شكلت إطارا فكريا لكثير من الأعمال الفلسفية والأدبية والفنية، وكثير منها ذكرناه سابقا عند بعض مفكري الغرب.

فإذا قرأنا ما جاء في سفر يشوع 20/2: " فهتف الشعب وضربوا بالأبواق... وحازوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، ومن طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف"[20].

وكذا ما جاء في سفر التثنية 20(من الآية10إلى16):" حين تقترب من مدينة لكي تحاربها، استدعها للصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا..."[21] ثم أيضا ما جاء في الآية03 : " ويقول لهم: اسمع يا اسرائيل: أنتم قربتم اليوم من الحرب على أعدائكم. لا تضعف قلوبكم. لا تخافوا ولا ترتعدوا ولا تهبوا وجوههم لأن الرب إلهكم سائر معكم لكي يحارب عنكم أعداءكم ليخلصكم."[22]

فهذه النصوص النموذجية التي تمجد العنف وحد السيف، هي لا تقبع صامتة في صفحات كتاب العهد القديم، بل هي المادة الأولية لتربية الشباب في المدارس الإسرائيلية، وهي المادة الأساسية التي توظفها كل آليات التنشئة الاجتماعية في المجتمعات التي تدين بها.

أما بالنسبة للعهد الجديد فتبقى الاتجاهات السلمية فيها أكثر من تلك المناصرة للحرب والعدوان، وخير ما يجسد هذه الروح هو ما جاء في إنجيل متى 05(44/43):" سمعتم أنه قيل لكم: أن تحب قريبك وتبغض عدوك، أما انا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم وأحسنوا معاملة الذين يبغضونكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم"[23]. هذا بالرغم من أن بعض رجال الدين من المسيح يقدسون العنف والقتل، فهذا الفيلسوف الإيطالي توما الإكويني[24] في كتابه "خلاصة اللاهوت" يقول بالحرف الواحد: "إن عرقلة دين المسيح من جانب غير المؤمنين يجب منعها بالقوة ". وعرف العرقلة تعريفا واسعا بحيث استباح طريق الحرب في الدفاع عن المسيحية وجعل للكنيسة الحق في إلغاء القانون البشري واستحل دماء الكفار بالمسيحية. بل لقد اعتبر العنف فعلا مقدسا وما يوازيه من سفك الدم البشري لاستعادة الهيكل المفقود، وهو نفس ما جاء في يوحنا سالسبوري. كما كان رجل الدين المسيحي الفرنسي برنار كليرفو(1090/1153) يؤمن بأن الحروب الصليبية ضد المسلمين شيئا ساميا وروحيا، وهو الذي كلفه البابا بالدعوة إلى الحملة الصليبية الثانية في القرن 12م، لكن مع كل هذا قضى سنواته الأخيرة في حزن عميق بعد فشل المسيحيين في هذه الحروب.

وتناول القديس أوغستين[25] موضوع العنف لدى الإنسان وجعله مرتبطا ارتباطا مباشرا بخطيئة أزلية، تلك التي بدأت بالسقطة

DOI:10.52113/uj05/023-16/236-246

من عناية المشيئة الإلهية في جنة عدن، ومن ثم بقي الخطأ ملازما للإنسان في حياته على الأرض، وبالتالي فإن ممارسة العنف والعدوان جزء من هذا الخطأ الإنساني.

أما بالنسبة لدين الإسلام الحنيف فإن هناك آيات كثيرة تدعو إلى العنف والقتال، ولكنها منضبطة بأحكام شرعية تقنن استعماله وتشرطه، إذ إنه يشرع الجهاد حين يتم الاعتداء على المسلمين والوقوف في وجه نشر الدعوة الإسلامية كما يشترط القوة في العدة والعتاد، وهو بذلك يضيق باب استخدام العنف ويجعله للضرورة القصوى نصرة لدين الله تعالى، يقول عز وجل: "وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ"[26]

وقال عز وجل أيضا:" وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"[27]

2. بعض النصوص الدينية في موضوع السلم:

وأمام هذه النصوص الدينية التي تدعو إلى العنف وهذا الزخم من مواقف رجال الدين التي تعطي الشرعية للعنف وتقسو على الإنسان بمجرد الاختلاف الديني، لابد أن نقف على بعض النصوص الدينية الأخرى ومعها أقوال لرجال الدين من مفسرين ومفكرين.

نطالع نصوصا من التراث الديني اليهودي والمسيحي تحث على السلم والسلام ونبذ العنف، ومنها: "لا تفعل للآخر ما لا تحب أن يفعل الآخر بك، هنا تكمن الشريعة كلها. الباقي تفاصيل"[28] و " إذا نزل بكم نزيل في أرضكم فلا تظلموه، وليكن عندكم النزيل المقيم فيما بينكم كالمقيم في بلدكم تحبه حبك لنفسك، لأنكم كنتم نزلاء في أرض مصر"[29] ثم "وكما تريدون أن يعاملكم الناس فكذلك عاملوهم"[30].

وهناك من المفكرين الغربيين من يتشبث بخطاب اللاعنف في الأديان السماوية ويعتبر نقيض ذلك مجرد افتراء على النص الديني، وهنا نورد نموذج البريطاني المعاصر اللورد منصف هدلي الذي توفي سنة 1935م، في كتابه "المثل الأعلى في الأنبياء" قائلا: "إن مدبجي وناسجي هذه الافتراءات لم يتعلموا حتى أول مبادئ دينهم، وإلا لما استطاعوا أن ينشروا في جميع أنحاء العالم تقارير معروفة لديهم أنها محض كذب واختلاق".

وفي الأخير نأتي إلى القرآن الكريم كتاب دين الإسلام، إذ يقول:" كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ"[31] وفي الحديث الشريف: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[32]

خلاصة القول، إن النصوص الدينية التي تدعو إلى السلم تحمل طموحا واسعا ونبيلا ومثالية أخلاقية، لكنها لا تنسجم أحيانا مع واقع الممارسة اليومية التي تختلف طبقا للفئات الاجتماعية ولمستواها الثقافي[33]، كما أن دور الأديان ومكانتها في التقليل من جذوة العنف لا يتضح إلا إذا علمنا أن العنف هو معطى غريزي منغرس في الطبيعة الإنسانية وقضية جماعية قد تكون معدية، ولولا ميكانيزمات الدين الهادية إلى تجنبه وتفاديه لانقرض النوع البشري منذ زمان سحيق. ولا يمكن استبعاد فرضية اختفاء كثير من المجتمعات البشرية ما قبل الدينية بسبب العنف. كما أن الله تعالى موحي هذا الدين والعالم بأسرار خلقه قد شرع للبشر إوالية القتل المؤسس باسم الإلاه لتكون للإنسان دواء مؤقتا للعنف، وهي خير دليل على فضل الأديان في هذا الباب. ويمكن أن تكون مناسبة التضحية والفداء بأضحية عيد الأضحى أصلا لكل الطقوس، ومثالا متطورا جاءت به الرسالة الإسلامية الخاتمة، وهي في مضمونها فرصة لتصب الجماعة غضبها عليها وتستجيب لغريزتها الحيوانية في العنف والقتل، علها تخفف من جذوة العنف في نفوسها وتضمحل بالتالي درجة الصراع بين بني البشر[34] .

ومع كل هذا يظل الإشكال القائم هو: لماذا يستمر الصراع والعنف قائمين بين البشر؟

DOI:10.52113/uj05/023-16/236-246

لقد حاول كثير من المفكرين قراءة ماضي العالم وحاضره ومستقبله حيث كان الصراع في القدم طبيعيا من أجل الحفاظ على البقاء (قانون الغاب والبقاء للأقوى)، ثم تحول صراعا دينيا بعد تعاقب الأديان السماوية، ثم إلى صراع إيديولوجي اقتصادي بعد تطور الحضارات والثقافات الإنسانية وظهور كثير من التيارات الفكرية والمذاهب الفلسفية التي تستقي أفكارها من الدين أحيانا ومن العقل أحيانا أخرى، وما أن بلغت الدول الغربية ذروتها في الحضارة حتى لاحت أصوات بعض المفكرين بنهاية التاريخ[35] وموت الحضارة، لكن متخصصي علم المستقبليات(ومنهم الدكتور المهدي المنجرة) يكادون يجمعون على أن القرن الواحد والعشرين سيعرف صراعا بين الحضارات[36] وليس صراعا اقتصاديا ولا إيديولوجيا، حددها صامويل هنتنجتون[37] في سبع حضارات أساسية: الغربية، الإسلامية، الكونفوشيوسية واليابانية، الأرتوذوكسية، الأمريكية، اللاتينية والإفريقية، لكن بريان بيدهام[38] اختزلها الى ثلاث حضارات رئيسية: وهي الغربية ، الاسلامية و الكونفوشيوسية مع التقليل من شأن هذه الأخيرة ويصل إلى نتيجة تقضي أن الصراع كان وسيظل تقليديا بين الإسلام والغرب وسيعود إلى الواجهة في القرن الواحد والعشرين.

الخاتمة:

رغم أن الصراع في التاريخ ظل رهينا بالخلفيات الفكرية الفلسفية والدينية المؤطرة لثقافة المجتمعات والشعوب الإنسانية عبر مختلف العصور التاريخية، ورغم حديثنا عن صدام الحضارات أو بالأحرى صدام الثقافات، إلا أن ذلك لا يعفينا من معطيات ثلاثة وجب الوقوف عندها بإمعان:

أولا: إن الثقافة لا يمكن أن ننظر إليها نظرة سانكرونية أحادية واعتبارها على أنها كلية، وعلى أنها ذات ماهية ثابتة، تتيح لكل حضارة معينة إطارا قيميا متجانسا مستمدا من ديانتها ومنظورها الفكري لذاتها وللعالم، لتعبر عن الروح الفكرية الخاصة بكل مجتمع على حدة[39]، بل يمكن النظر نظرة دياكرونية من خلال تطورها في الزمان والمكان وبالتالي القول بنسبيتها وبإمكانية تجديد بنياتها بما يتلاءم مع الركب الحضاري، وهاهنا يمكن الحديث عن الصراع حتى داخل الثقافة الواحدة.

ثانيا: رغم الحديث عن العوامل الثقافية الفاعلة في الصدام الحضاري بين المجتمعات، إلا أننا لا يمكن البتة أن نخلي مسؤولية الأفراد في تأجيج العنف والصراع. نعزز هذا الطرح بموقف الوجودي جون بول سارتر[40] إذ يقول أن الإنسان هو الفاعل في التاريخ وصانعه، ويؤكد على أن التاريخ ليس نتاجا لنشاط آلي لقوى مبهمة مثل الروح المطلقة (كما يقول فريديريك هيجل)، أو طريقة الإنتاج وأنماط الإنتاج ووسائل الإنتاج (كما يقول كارل مارس)، بل الإنسان هو الذي يعمل ويمتلك وينتج ويصنع أحداث تاريخه كما يشاء، وهو المسؤول عن كل أحداث العنف فيه.

ثالثا: لا يمكن اعتبار حديثنا عن أسباب العنف والصراع في التاريخ وحصره من الزاوية الفكرية الفلسفية والدينية بمثابة حصر العوامل الفاعلة في رسم الخصوصيات الثقافية للشعوب والمجتمعات، بل إن الصراع وأحداث العنف في التاريخ وكل الوقائع التاريخية قد لا تكون مترابطة ترابطا وثيقا بأسبابها، وقد لا يحكمها منطق، فأحيانا يكون المتحكم دينيا وأحيانا اقتصاديا وأحيانا إيديولوجيا وأحيانا أخرى حضاريا أو علميا أو تقنيا.

الهوامش :

1 - ابراهيم أنيس وآخرون. المعجم الوسيط، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية ومجمع اللغة العربية، ط4، مصر2004. ص ص 512-513 (مادة صرع)

2- Samuel P. Huntington's, The clash of civilizations ? The debate,1996, Foreign Affairs, Saymon edition, p318.

3 - محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ط8، لبنان 2005، ص292، (مادة أدلج)

DOI:10.52113/uj05/023-16/236-246

4 - عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط5 لبنان 1993، ص25.

5 - Macridis,R.(1980) « Contemporary political ideology: movement and Regimes » Winthrop Publishers, Inc: Combridge, p4.

6 - ابراهيم انيس وآخرون. المعجم الوسيط. (نفس المرجع السابق)ص181، (مادة حضر)

7 - كلايد كلوكهون مغيون، الإنسان في المرآة. ترجمة شاكر مصطفى سليم، بغداد- نيويورك: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، العراق 1964، ص:71

8 - ابراهيم أنيس وآخرون. مرجع سابق. ص231 (مادة عنصر)

9 - إيف ميشو، العنف، تساؤلات الفكر المعاصر، مجموعة من المؤلفين، دار الامان، الرباط 1990م، ص76.

10 - Thomas Hobbes, Le Léviathan, Traité de la matière et de la forme du pouvoir de la république ecclésiastique et civile, chap. XIV, trad. Fr. F. Tricaud, Sirey,1971,p119.

11 - S. Freud. Nouvelles conférences sur la psychanalyse, 1932, trad. Fr. Zeitlin, Paris : Gallimard, 1936,p107.

12 - مارتن هايدغر. الوجود والزمن. الترجمة الى الفرنسية لبويم دي ويلهانس، غاليمار 1964م. ص159.

13 - جون بول سارتر، الوجود والعدم، ترجمة عبد الرحمان بدوي، بيروت: منشورات دار الأدب، لبنان 1966. ص394.

14 - A. Kojève. Introduction à lecture de Hegel, Gallimard, Paris 1968, pp11-16.

15- Karl Marx, Le manifeste communiste, (1848), éd. Sociale,Paris,1974, pp.6-7.

16 - Cicérone, Marco Tullio, Encyclopedia machiavellina. Instituto della Encyclopedia Italiana Fondata da Giovanni Triccani S.p.A. (2014), p356.

17- J.G. Rousseau. Du contrat social, ou Principes du droit politique, Londres : Librairie Taylor institution1973, p29

18 - Eric Weil, Logique de la philosophie, Librairie philosophique J. Vrin 1976, p.67.

19 - Rhandi, Lettres à Ashram, Paris :Maisonneuve, 1938, p98.

20 - الكتاب المقدس، تفسير أسفار العهد القديم. الإصحاح الثاني، سفر يشوع 2، آية 20.

21 - الكتاب المقدس، تفسير أسفار العهد القديم. الإصحاح العشرون، سفر التثنية 20، من الآية 10 إلى الآية 16.

22 - نفس المرجع السابق. الآية 03.

23 - الكتاب المقدس العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح الخامس، مت5: 43 ومت5: 44.

24 - ويعرف هذا الفيلسوف أيضا بكتاب الاعترافات الشهير وهو من واضعي أسس الديانة الكاثوليكية ويطلق عليه إسم الطبيب الملائكي وأمير المثقفين.

25 - هو الكاتب والفيلسوف النوميدي/ اللاتيني (430م/354م) المزداد من أم أمازيغية وأب وثني إفريقي-لاتيني والملقب بالقديس أوغستين والذي أثر بسيرته الذاتية "اعترافات " في الفكر والأدب اللاتيني، وماتزال مؤلفاته "في النعمة" و "مدينه الله" تدرس في شتى بقاع العالم وخاصة العالم المسيحي.

26 - المصحف الكريم. سورة البقرة، آية 190.

27 - المصحف الكريم. سورة البقرة، آية 244.

28 - تلمود بابل. السبت.

29 - سفر الأحبار33/19.

30 - إنجيل لوقا 31/6، وإنجيل متى 12/7.

31 - مصحف القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 213.

32 - محمد بن إسماعيل البخاري. الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه، كتاب الإيمان، دمشق-بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الأولى 1423هـ/ 2002م، ص13.

33 - محمد أركون، نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية. ترجمة وتقديم هاشم صالح. بيروت: دار الساقي، الطبعة الثانية، لبنان، 2012م،صص. 311-315.

34 - روني جرار. الفكر المعاصر، حوارات، ترجمة محمد سبيلا، منشورات ما بعد الحداثة، فاس 2006، ص 26-27.

35 - فرانسيس فوكوياما مفكر أمريكي من أصول يابانية، ولد سنة 1952م، من كتبه الشهيرة: نهاية التاريخ والإنسان الأخير- الانهيار أو التصدع العظيم. كانت له فكرة هيمنة أمريكا على العالم في القرن الواحد والعشرين، وكان أحد مطالبي حكومة بيل كلينتون بغزو العراق.

DOI:10.52113/uj05/023-16/236-246

36 - ديبتر سنغاس, الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشان الصراعات الثقافية، ترجمة شوقي جلال، القاهرةك دار العين للنشر، ط1 مصر2008م. ص15.

37- صامويل همنتنجتون أستاذ العلوم السياسية ومدير معهد الدراسات الاستراتيجية في جامعه هارفارد الأمريكية.

38 - بريان بيدهام باحث سياسي بريطاني محرر صحيفه الايكولوكسيت البريطانية، قال بالحرف الواحد ليست الشيوعية خطرا على أوربا بل الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديدا مباشرا وعنيفا هو الخطر الإسلامي إلى أن قال "إن العالم الإسلامي عملاق مقيد لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافا تاما فهو قلق حائر كاره لانحطاطه وراغب رغبة يخالطها الكسل في مستقبل أحسن.

39 - ديبتر سنغاس, الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشان الصراعات الثقافية، ترجمة شوقي جلال، القاهرةك دار العين للنشر، ط1 مصر2008م. ص14.

40 - Jean Paul Sartre, Critique de la raison dialectique, Gallimard,1960, t.1, p62.

المصادروالمراجع :

<u>المراجع المعتمدة باللغة العربية:</u>

- المصحف الشريف للقرآن الكريم، كتاب الله عز وجل.
- الكتاب المقدس، أسفار العهد القديم. الإصحاح الثاني، سفر يشوع 2.
- الكتاب المقدس، أسفار العهد القديم. الإصحاح العشرون، سفر التثنية 20.
- الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح الخامس.
- البخاري محمد بن إسماعيل. الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه، كتاب الإيمان، دمشق- بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الأولى 1423هـ/ 2002م.
- أركون محمد، نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية. ترجمة وتقديم هاشم صالح. بيروت: دار الساقي، الطبعة الثانية، لبنان، 2012م.
- أنيس ابراهيم وآخرون. المعجم الوسيط، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية ومجمع اللغة العربية، ط4، مصر2004.
- جرار روني. الفكر المعاصر، حوارات، ترجمة محمد سبيلا، منشورات ما بعد الحداثة، فاس 2006.
- سارتر جون بول، الوجود والعدم، ترجمة عبد الرحمان بدوي، بيروت: منشورات دار الأدب، لبنان 1966.
- سنغاس ديبتر, الصدام داخل الحضارات، التفاهم بشان الصراعات الثقافية، ترجمة شوقي جلال، القاهرةك دار العين للنشر، ط1 مصر2008م.
- العروي عبد الله ، مفهوم الإيديولوجيا، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط5 لبنان 1993.
- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ط8، لبنان 2005.
- مغيون كلايد كلوكهون، الإنسان في المرآة. ترجمة شاكر مصطفى سليم، بغداد- نيويورك: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، العراق 1964.
- ميشو إيف، العنف: تساؤلات الفكر المعاصر، مجموعة من المؤلفين، دار الامان، الرباط 1990م.
- هايدغر مارتن، الوجود والزمن، الترجمة الى الفرنسية لبويم دي ويلهانس، غاليمار 1964م.

<u>المراجع المعتمدة باللغات الأجنبية:</u>

- Freud S., Nouvelles conférences sur la psychanalyse, 1932, trad. Fr. Zeitlin, Paris : Gallimard, 1936,p107.

DOI:10.52113/uj05/023-16/236-246

Abstract:

There is no doubt that human societies, just as individuals, are, by instinct, free from a tendency to conflict and a desire to dominate others for the purpose of self-consolidation and ensuring survival.

If ancient civilizations had known the struggle of the great agricultural empires in primeval times, and if the period of relegation of heavenly messages had given rise to the world into dialogue and conflicts of religions, the quest for the accumulation of funds would be restored in the context of the commercial conflicts that had enabled the world's major Powers to make important geographical and continental discoveries.

The tracker of this civilizational landscape acknowledges the complexity of the entry points leading to its sightseeing and searching, and may not be able to take up only one scientific discipline to take stock of all its contents and aspects, but we see its approach through the following broad issues:

-What are the framed intellectual backgrounds, and what are the historical drivers of this conflict throughout history?

-If there is a conflict, are there any ways and prospects for coexistence, dialogue and understanding to re-establish civilizational peace?

Key words : Conflict , Violence, Civilization , Ideology.

- Hobbes Thomas, Le Léviathan, Traité de la matière et de la forme du pouvoir de la république ecclésiastique et civile, chap. XIV, trad. Fr. F. Tricaud, Sirey,1971,p119.
- Kojève A., Introduction à lecture de Hegel, Gallimard, Paris 1968, pp11-16.
- Marco Tullio Cicérone, Encyclopedia machiavellina. Instituto della Encyclopedia Italiana Fondata da Giovanni Triccani S.p.A. (2014), p356.
- Marx Karl, Le manifeste communiste, (1848), éd. Sociale,Paris,1974, pp.6-7.
- P. Huntington's Samuel, The clash of civilizations ? The debate,1996, Foreign Affairs, Saymon edition, p318.
- R.Macridis, (1980) « Contemporary political ideology: movement and Regimes » Winthrop Publishers, Inc: Combridge, p4.
- Rhandi, Lettres à Ashram, Paris :Maisonneuve, 1938, p98.
- Rousseau J.G., Du contrat social, ou Principes du droit politique, Londres : Librairie Taylor institution1973, p29.
- Sartre Jean Paul, Critique de la raison dialectique, Gallimard,1960, t.1, p62.
- Weil Eric, Logique de la philosophie, Librairie philosophique J. Vrin 1976, p.67.

Human civilizations throughout history, a reading of the causes of conflict and the prospects for achieving coexistence and peace

DOI:10.52113/uj05/023-16/236-246